تفسير إبن كثير

* وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلاِئكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ

يقول تعالى : ولو أننا أجبنا سؤال هؤلاء الذين أقسموا باالله جهد أيمانهم (لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها) فنزلنا عليهم الملائكة ، أي : تخبرهم بالرسالة من االله بتصديق الرسل ، كما سألوا فقالوا : (أو تأتي باالله والملائكة قبيلا) [الإسراء : 92] (قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل االله) [الأنعام : 124] ، (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا) [الفرقان : 21] .(وكلمهم الموتى) أي : فأخبروهم بصدق ما جاءتهم به الرسل ، (وحشرنا عليهم كل شيء قبلا) - قرأ بعضهم : " قبلا " بكسر القاف وفتح الباء ، من المقابلة ، والمعاينة . وقرأ آخرون وقبلا بضمهما قيل : معناه من المقابلة والمعاينة أيضا ، كما رواه علي بن أبي طلحة ، والعوفي ، عن ابن عباس . وبه قال قتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .وقال مجاهد : (قبلا) أفواجا ، قبيلا قبيلا أي : تعرض عليهم كل أمة بعد أمة فتخبرهم بصدق الرسل

فيما جاءوهم به (ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء االله) أي : إن الهداية إليه ، لا إليهم . بل يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وهو الفعال لما يريد ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، لعلمه وحكمته ، وسلطانه وقهره وغلبته . وهذه الآية كقوله تعالى : (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) [يونس : 96 ، 97] .